السويس والمنطقة بشكل عام، وهي المهمة التي حملتهم على ان يرصدوا، عن كثب، التيارات الفكرية، والاتجاهات السياسية، والتحوّلات الاجتماعية، بشقيها، الاسلامي والوطني، ومدى تأثير ذلك في الوجود البريطاني في مصر.

وتظهر الرسائل المتبادلة بين السفير البريطاني في اسطنبول ووزارة الخارجية في لندن محاولات السفير المستمرة للتقليل من حجم الخلاف الحدودي في سيناء[٢٨]، والاشارة الى دور الصحافة في تضخيم الخلاف[٢٩]، والميل الى استبعاد اللجوء الى القوة[٣٠]، في المرحلة الاولى من الخلاف، على الاقل.

وفي المقابل، كان كرومر يضغط، منذ البداية، باتجاه سياسة التصلّب والقوة واستعراض الاسطول البريطاني في مياه البحرين، المتوسط والاحمر[٣١]، ويطالب بارسال السفينة الحربية «ديانا» للمرابطة في مياه العقبة. وشاركه في هذا الموقف، أيضاً، القائم بأعماله، فندلي، الذي نصح، في الوقت عينه، بالحذر الشديد في استعراض القوة البريطانية ضد السلطان العثماني، نظراً الى ما قد يثيره ذلك الاسلوب من حساسية التيار الاسلامي في مصر[٣٢]. ولفت فندلي، أيضاً، نظر الخارجية البريطانية الى خلو رسائل الصدر الاعظم الى خديوي مصر من عبارات التكريم والتفخيم التقليدية، والاشارة الى مصر باعتبارها ولاية تابعة للسلطنة العثمانية، واستثناء سيناء من الاراضي المصرية الممنوحة لوالي مصر بموجب فرمان العام ١٨٤١.

ومرة أخرى، كان هذا التضارب في المواقف والتفسيرات، العثمانية والبريطانية، بشأن بعض المواقع الجغرافية في سيناء يخفي وراءه صراعاً سياسياً على مناطق النفوذ والمصالح الاستراتيجية العليا. فالموقف التركي سعى الى اعادة الهيمنة والسيادة العثمانية على المنطقة المحاذية للخط الحديد الحجازي، نظراً الى أهمية هذا الخط في نظر العالم الاسلامي، بعامة، و«الملّة» الاسلامية داخل السلطنة العثمانية، بخاصة. وبالتالي، كانت أهمية العقبة، التي ارادت الاستانه ان تمدّ اليها خطاً فرعياً من معان بهدف ايصال هذا الخط، فيما بعد، من العقبة الى السويس، وربما، أيضاً، من العقبة الى شاطىء البحر الابيض المتوسط. ومن هنا، أيضاً، كانت اهمية المحاولات العثمانية احياء الحديث عن مصر، باعتبارها ولاية تابعة للسلطات في اسطنبول. ولكن بريطانيا، من جهتها، كانت تقرأ في هذه المواقف العثمانية مطامع وأهدافاً أبعد من ذلك بكثير، ترتبط، بصورة وثيقة، بالمخططات الالمانية في توجّهها نحو الشرق. كما ان الساحة الاوروبية ذاتها لم تكن خالية من التوتر، خاصة بين المانيا وفرنسا؛ ذلك التوتر الذي انفجر بعد ثماني سنوات في أول حرب عالمية مدمّرة. ورأى بعض المسؤولين البريطانيين ان موقف حكومة الجلالة البريطانية سيكون حاسماً في ما يتعلق بنتيجة أي مواجهة ألمانية ـ فرنسية؛ وبالتالي، فان التقارب الالماني ـ التركي ربما يكون وراء الازمة على الحدود الشرقية لمصر، بهدف تحويل انظار بريطانيا عمّا يجرى في اوروبا[٣٣]. وبالاضافة الى ذلك، رأى البريطانيون، أيضاً، في حملة التحريض ضد بريطانيا، التي شنّتها الصحافة الاسلامية في مصر، ما حملهم على الاعتقاد بأن اصابع المانيا تقف وراء تلك الحملة. وبالتالي، فان العرض التركي، الذي نقله مختار باشا الى اللورد كرومر في القاهرة، باعتبار الخط الممتد من العريش شمالاً الى رأس محمد في أقصى الطرف الجنوبي لسيناء حدّاً فاصلاً بين مصر والدولة العثمانية، جوبه بالرفض التامّ من جانب المعتمد البريطاني، لما يتضمّن من اخطار تهدّد أمن الامبراطورية البريطانية. فقد رأى كرومر[٣٤] ان اعتماد خط العريش ـ رأس محمد يعني تحريك الحدود التركية غرباً باتجاه قناة السويس الى خط يمر بنقطة نخل الملائمة، من حيث وفرة المياه فيها، لحشد قوة عسكرية كبيرة يمكنها تهديد القناة